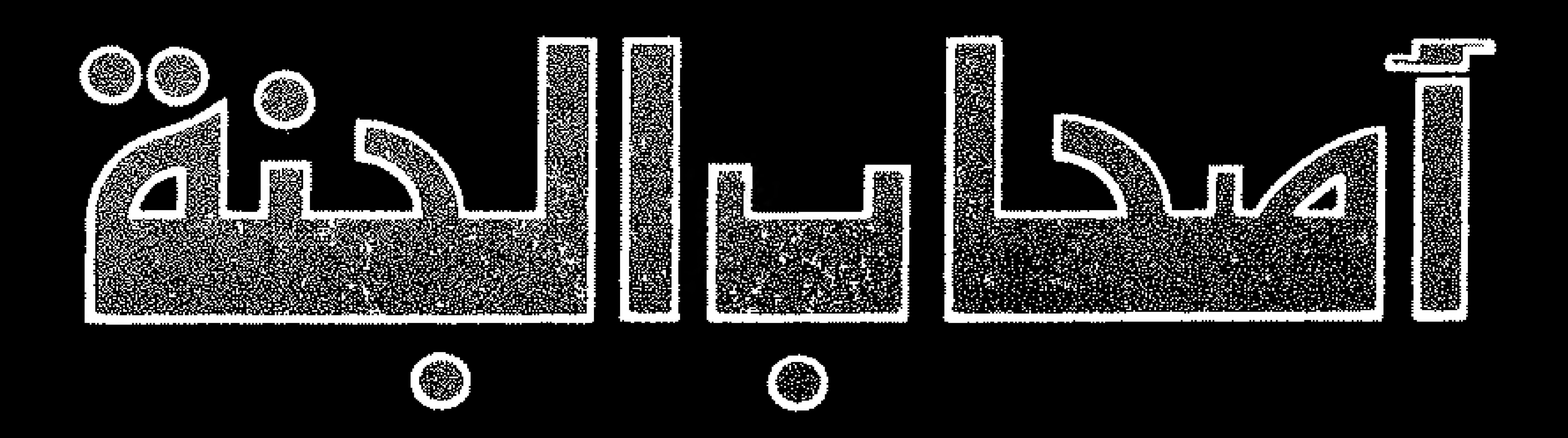
قصص القرآن



قلم: أحمد بهجت   ريشة: مصطفى حسين



دار الشروق

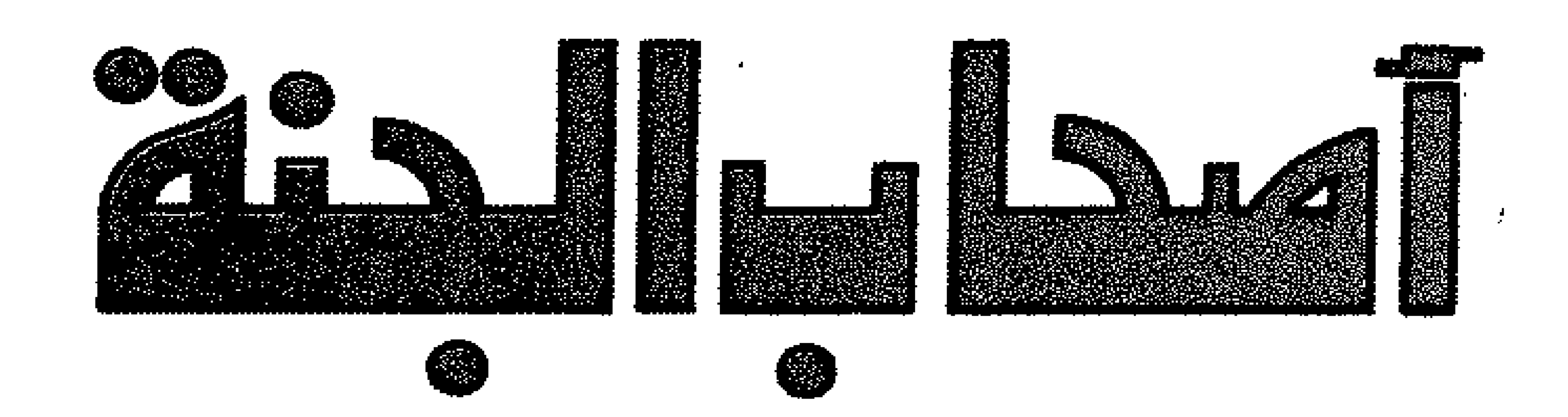
الطبعـــة الأولـــى
١٤٠٨ هـــ١٩٨٨ م

الطبعـــة الثانيـــة
١٤٠٩ هـــ١٩٨٩ م

الطبعـــة الثالثـة
١٤١٤ هـــ١٩٩٣ م

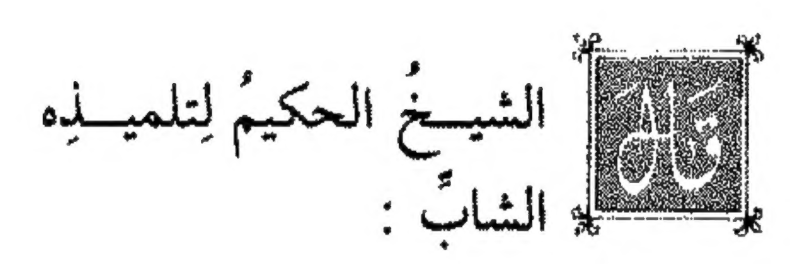
© دار الشروق
القاهرة : ١٦ شارع جواد حسني ـ هاتف : ٣٩٣٤٥٧٨ ـ ٣٩٢٩٣٣٣ فاكس : ٣٩٣٤٨١٤ (٠٢) تلكس : 93091 SHROK UN
بيروت : ص . ب : ٨٠٦٤ ـ هاتف : ٣١٥٨٥٩ ـ ٨١٧٧٦٥ ـ ٨١٧٢١٣ برقيا : داشروق ـ تلكس : SHOROK 20175 LB

قصص القرآن



قلم: أحمد بهجت   ريشة: مصطفى حسين

دار الشروق



الشيخُ الحكيمُ لِتلميذِه الشابِّ :

ــ تُشبِه أيامُ الدُّنيا ولَياليها أوراقاً في آمتحانٍ تَتعاقبُ أَسئِلَتُه .

وما أكثرَ المواقف التي تَمُرُّ بنا في الحياةِ فلا نعرفُ أَنها كانتِ آمتِحاناً إلا بعد أن تَمضي بزمنٍ . .

سكتَ التلميذُ وهزَّ رأْسَه وهو يعجبُ . . كيف تكونُ أَحداثُ الدُّنيا أسئلةً في آمتحانٍ ، وكأنما قرأَ الشيخُ أفكارَ تِلميذِه فقال :

ــ تَختلفُ أَسئلةُ الامتحانِ في الدُّنيا عن أَسئِلة الامتحانِ في المَدارسِ . . إن الغِنَى والفَقرَ أَسئِلَةٌ يَمتحنُ الله بها عِبادَه ، والصِّحةَ والمَرضَ أَسئِلةٌ يَمتحنُ الله بها عِبادَه ، وكذلكَ الحُزنَ والسُّرورَ ، والرِّضا والغضبَ ، والإيمانَ والكفرَ . .

كلُّ ما يقعُ للإنسانِ . . كلُّ ما يمرُّ به الإنسانُ . . كلُّ أحداثِ حياتِه ليست سِوى أسئلةٌ تكشفُ عن حقيقةِ جوهرِه وأصلِ مَعدنِه .

سأَلَ التلميذُ : كيف يكونُ الغِنَى آمتِحاناً ويكونُ الفقرُ آمتِحاناً ؟

قالَ الشيخُ الحكيمُ : إن ثروةَ الغَنِيِّ هي أَسئلةُ آمتحانِه . . إذا شكرَ الله علَيها وأَعطى منها وتصدَّق ، فقد آجتازَ آمتحانَه ونجحَ ، وإذا حرِص عليها وبَخلَ بها فقد رسبَ . .

وفقرُ الفقيرِ هو آمتحانُه . . إذا صبرَ على الفقرِ وسأَلَ الله جازَ ، وإن لم يصبرْ هوَى . . هل فهمتَ ما أَقول ؟

قالَ التلميذُ : فهمتُ . .

قالَ الشيخُ الحكيمُ : هل أدُلُّكَ على سبيلٍ لاجتيازِ آمتحانِ الحياةِ ؟ إنه التَّسبيحُ . . إن تَسبيحَ الله تباركَ وتعالَى وآستغفارَه طريقٌ إلى الرِّزقِ كما أنه طريقٌ لاجتيازِ البَلاءِ . .

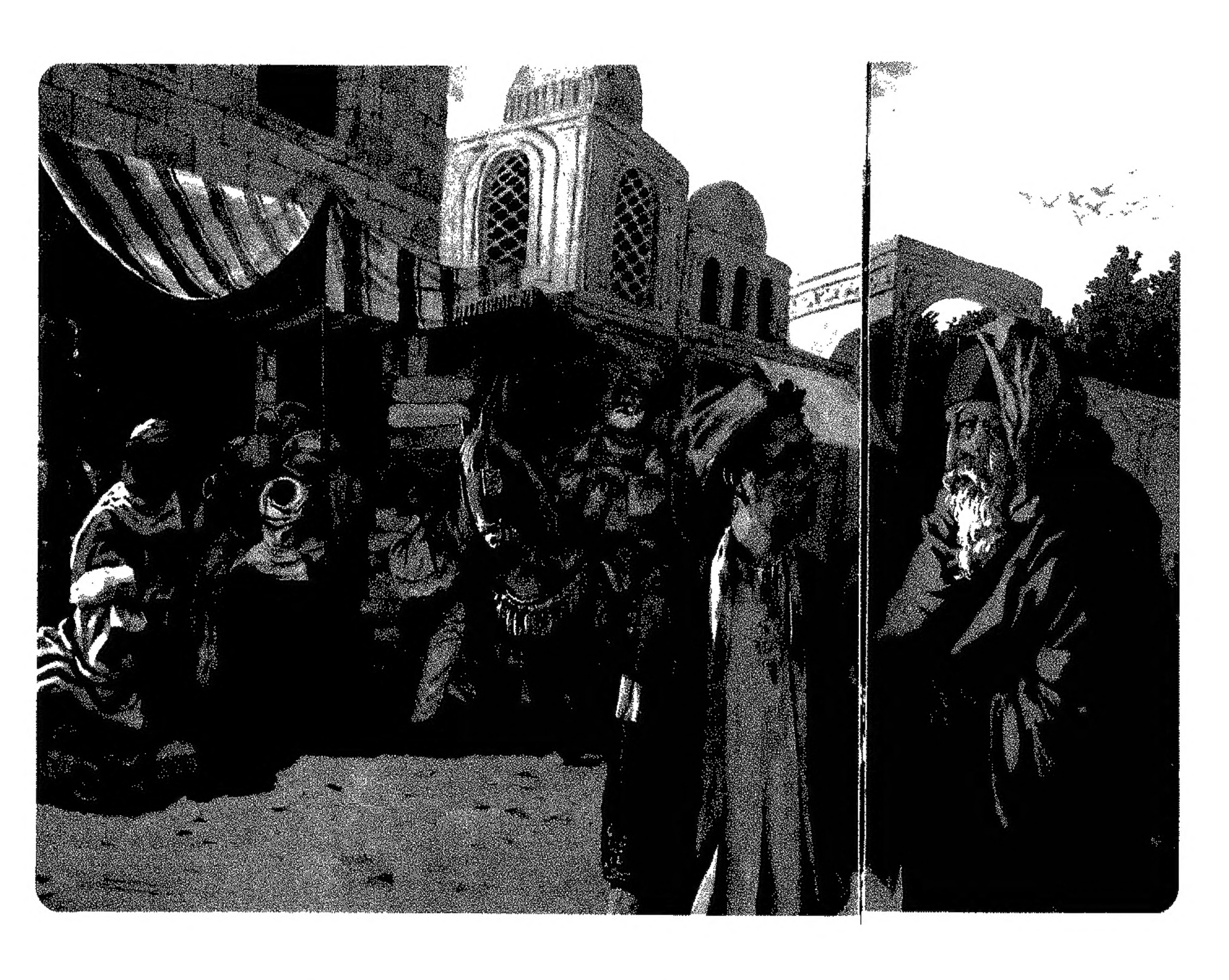
قالَ التلميذُ لأستاذِه : فهِمنا أنه طريقٌ لاجتيازِ البلاءِ . . كيف يكونُ طريقاً إلى الرزقِ ؟

قالَ الشيخُ الحكيمُ : ألم تَقرأْ قولَه تعالى : ﴿ **وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَى آمَنُوا وَٱتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ ٱلسَّمَاءِ وَٱلْأَرْضِ** ﴾ ؟

آستمعْ إلى قِصَّةِ أصحابِ الجنةِ التي قصَّها علينا الحقُّ عزَّ وجلَّ في كتابِه . .

في قديمِ الزمانِ . . وسالفِ العصرِ والأوانِ . . عاشَ مَجموعةٌ من الإخوةِ الأغنياءِ . . كانوا يَملِكونَ حديقةً رائعةً تَمتلئُ بالزُّروعِ والثِّمارِ والفَواكهِ والأشجارِ والوُرودِ . .

وكانَ هؤلاءِ الإخوةُ مَشهورونَ بأنهم أصحابُ الجنةِ . . سمَّى النّاسُ حديقَتَهم بالجَنةِ من فرطِ جَمالِها وخَصبِها . . وآقتربَ وقتُ الحَصادِ فخرجَ أصحابُ الجنةِ يتأمَّلونَ أنواعَ الفاكِهةِ والثِّمارِ ، وجمالَ الوُرودِ والزُّهورِ . . وأنواعَ الطيرِ والحيوانِ .



كان واضِحاً أن الجنةَ قد أثمرتْ بسخاءٍ عظيمٍ هذه السنةِ . .

آنتهَى الإخوةُ من طَوافِهم في الجنةِ . وعَادُوا إلى غُرفةِ طَعَامِهم وجَلسوا يأكُلونَ . . أمروا ألّا يَدخُلَ عليهم أحدٌ . .

كان المَحصولُ وفيراً أكثرَ من أيِّ وقتٍ مضى..وكانواسُعداءَوهم يأكُلونَ . .

قالَ الأخ الأكبَرُ : غَداً نجمعُ المَحصولَ .

قالَ الأخُ الأصغرُ: لقد صِرنا أغنياءَ . .

ووضعَ الأخُ الأكبرُ من يده قِطعةَ البطِّ التي كان يأكُلها وقال : لا نُريدُ أن نُعطِيَ الفُقراءَ شيئاً حتى لا ينقُص من مالِنا شيءٌ . .

قال الأخُ الأوسطُ : لكنَّنا اعتدنا أن نَتصدَّقَ كلَّ عامٍ بشيءٍ من الثمرِ والقمحِ . .

قالَ الأخُ الأصغرُ : لن يحدُثَ هذا . . يكفي ما تَصدَّقنا به في الأعوامِ السابقةِ . .

قالَ الأخُ الأكبُر : أنا أتفقُ معك . . لقد صِرنا أغنياءَ ، ولا نُريدُ أن نُفرِّطَ في مالنا أو نخسرَ منه شيئاً . .

قالَ الأخُ الأوسطُ: لكن هذا حرامٌ .

ضحِكَ الأخُ الأكبرُ هازئاً واشتركَ معه الأخُ الأصغرُ في الضَّحكِ . . قالا لأخيهِما : دَعنا من أفكارِ الحرامِ والحَلالِ . . نحن الآنَ أغنياءُ . . لا شيءَ يهمّنا . .

قالَ الأخُ الأوسطُ : سمعتُ شَيخاً صَالِحاً في المسجدِ يقول : إن مَن تَصدَّق ببعضِ أموالِه باركَ الله له فيما يبقَى . .

قالَ الأخُ الأصغرُ : ماذا نفعلُ بالبرَكةِ فيما يبقَى ؟ نحن نُريدُ كلَّ شيءٍ . .

قالَ الأخُ الأكبرُ : لقد حصلتِ البركةُ وانتهى الأمرُ . . ألم تَروا الجنةَ وأشجارَها تَنحني من كثرةِ الثِّمارِ ؟

اتفقَ الإخوةُ أنهم لن يُعطوا المساكينَ شيئاً هذا العامِ . . أمروا

بإحضارِ رئيسِ الحرسِ وقالوا له :
أغلقْ أبوابَ الحَديقةِ جيداً من الآن . .
ولا تَفتحوا غداً لأيِّ طارقٍ . .

قالَ الحارسُ : ولكن غداً هو يومُ الحصادِ ، وقد آعتدتُم أن تُعطوا المَساكينَ الذين يَحضُرونَ من القُرى المُجاورَة . .

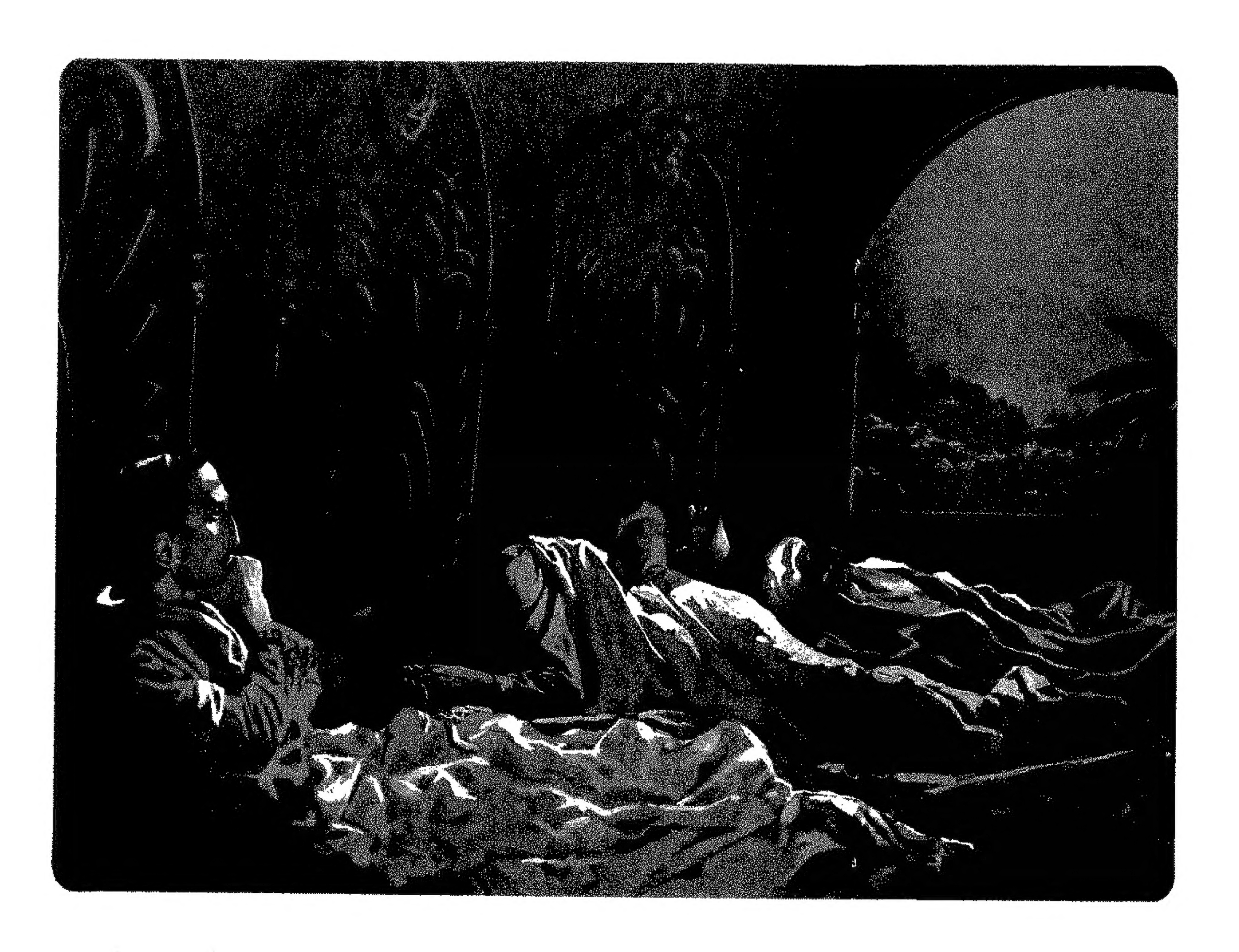
قالَ الأخُ الأكبرُ : لن نُعطي أحداً هذا العام . . أغلقِ الأبوابَ ولا تَفتحْها لأيِّ مِسكينٍ .

هل فهمتَ ؟

هزَّ الحارسُ رأسَه بالإيجابِ وآنصرفَ عائِداً إلى مكانِه .

جاءَ الليلُ على الإخوةِ الثلاثةِ أصحاب الجنةِ .

نامَ الأخُ الأكبرُ والأصغرُ وهما يَحلمانِ بالذَّهبِ والجَواهِرِ والملابِس الجديدةِ والثراءِ .



كان قَرارُهُما بِمنعِ التَّصدُّقِ على الفُقراءِ يُسعدُهُما تَماماً . . أما الأخُ الأوسطُ فقد وافقَهُما مُضطرّاً ، وحاولَ هذا الأخُ أن ينامَ ولكنه ظلَّ قَلِقاً لا يَحسُّ رغبةً في النومِ . . كان يَحسُّ بالألمِ لِموقفِ أخوَيْهِ من الفُقراءِ ، وكان يَحسُّ أنه سكتَ على ظُلمِ أخويهِ فصارَ ظالِماً هو الآخر . .

أخيراً أدركَه النُّعاسُ فأغمضَ عينَيهِ ونامَ . .

نامَ أَصحابُ الجنةِ . . ونامَ الحارسُ ونامتِ الطيورُ والأشجارُ وهجعَ كلُّ شيءٍ . .

لكنَّ الله سبحانَه لا تُدرِكُه سنةٌ ولا نومٌ . . أمر الله تعالَى واحِداً من جُنودِه أن يُدمِّرَ الجنةَ . .

﴿ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴾ .

لا أحدَ يدري من هو هذا الطائفُ . . لا أحدَ رآه أو سمِعَه أو تنبَّه إليه أو أحسَّ به أو شعرَ بوُجودِه . . كان هذا الطَّائفُ جُنديّاً من جنودِ الله ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾ . .

كان هذا الطائفُ الخفيُّ الغامِضُ يمرُّ بالأشجارِ المُثمِرةِ فَتذوي وتموتُ ، كان يُشيرُ إلى الثمارِ فَتسقُطُ دون صوتٍ وتَتعطَّنُ قبل أن تمسَّ الأرضَ . .

كان لا يمسُّ بيدِهِ شجرةً أو يُشيرُ لجزءٍ من الجنةِ حتى يموتَ الزرعُ وتفسدَ الثمارُ ويَسقط كلُّ شيءٍ على الأرضِ دون صوتٍ . ظل الطائفُ يطوفُ بالجنةِ فلم يتركْ فيها شجرةً قائمةً أو نباتاً حياً أو طيراً أو ثمرةً أو حيواناً أو زهرةً .

مات كلُّ شيءٍ وذبلَ كلُّ شيءٍ



وهلكَ كلُّ شيءٍ وأصبحتِ الجنةُ كالصَّريمِ . . صارتْ خَراباً . .

وآختفَى الطائفُ فجأةً كما ظهرَ فجأةً . .

ومرتْ ساعاتٌ وجاءَ الصباحُ فآستيقظَ الإخوةُ .

كانوا سُعداءَ بآستِثناءِ الأخِ الأوسطِ . . كانت عيناهُ مُنتفِختينِ من قلَّةِ النومِ . . وكان وجهُه شاحِباً مُمتقِعاً . .

أفطر الإخوةُ وتَهيَّؤوا للخُروجِ لجمعِ المحصولِ . .

انطلقوا وهم يتحدثون بصوتٍ خافتٍ : لن يدخلَ علينا اليومَ مِسكينٌ . . سيبقى لنا كلُّ شيءٍ . . ولن نتصدَّقَ بشيءٍ . . كانت فِكرةُ الثراءِ تَملؤُهم بالسعادةِ . . كان امتحانُهم كأغنياءَ قد انتهى . . وبقي تَصحيحُ أوراقِ الإجابةِ .

خرجوا إلى الجنةِ لجمعِ المَحصولِ فَفُوجِئوا بما حدثَ . . لم يكن هناكَ مَحصولٌ ولا ثمرٌ ولا فواكهَ ولا زهورٌ ولا قمحٌ ولا طيورٌ . . لم يكن هناكَ غير هذه الأخشابِ الميتةِ والعَطَنِ المُتعفِّنِ والخَرابِ الشاملِ . .

صرخوا بالدَّهشةِ والويلِ . . ضربوا كفًّا على كفٍّ . .

ماذا حدثَ . . ؟

وكيف حدثَ ما حدثَ ؟

كانت الجنةُ بالأمسِ جنةً فكيف تَهلكُ في ليلةٍ واحدةٍ ؟

صرخَ الأخُ الأكبرُ وهو يَفركُ عينيهِ ولا يُصدِّقُ ما يراهُ : ليست هذه جنَّتنا . . لقد ضَللنا الطريقَ إليها . .



قالَ الأخُ الأصغرُ : هذه جنَّتُنا وقد هَلكتْ . . انتهى الأمرُ .

قالَ الأخُ الأكبرُ وهو يعولُ ويَصرخُ : نحن مَحرومونَ إذن . . ولم نَضلِ الطَّريقَ .

قالَ الأخُ الأوسطُ : ﴿ **أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ** ﴾ . .

﴿ **قَالُوا : سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ** ﴾ . .

اعترفَ الإخوةُ بِخَطئِهم بعد أن أدركوا ما حدثَ . .

وبدأ كلُّ واحدٍ يُلقي اللَّومَ على الآخر.



قال الأخُ الأكبرُ للأخِ الأصغرِ : لقد ضِعنا بِسبَبِكَ . .

وقالَ الأصغرُ للأكبرِ : كان الاقتراحُ آقتراحَك أَنت . . لقد رَفضتَ أن تُعطيَ المساكينَ . .

ومضى الجِدالُ بين الإخوةِ فراحَ كلُّ واحدٍ يُلقي اللومَ على الثاني ، حتى تحوَّلَ الجدلُ إلى خصامٍ . . وتحدَّثَ الأخُ الأوسطُ الذي نَصحَهم قبل ذلك بالتَّسبيحِ .

قالَ لهم : لقد قَادَنا الجِدالُ إلى الخِصامِ . . وهذا ما كنتُ أَخشاهُ وأَحسبُ حِسابَه . . لقد آشترَكنا جَميعاً في جريمةٍ واحدةٍ ، إن أَحدَنا قد فكَّر في الجريمةِ ، ولكننا جَميعاً قد آشترَكْنا فيها ، سواءٌ بالمَواقِفِ أو بعدمِ الاعتراضِ الجَدِّي . . دعونا الآن مما حدثَ ، ولِنَتأمَّل الدرسَ فيما حدثَ . .

لماذا عاقَبنا الله تعالى بالحِرمانِ . . ؟

قالَ الأخُ الأكبرُ : كان طُغيانُنا هو السَّبب .

قالَ الأخُ الأصغرُ : نعم . . لِنعترفَ بذلك .

قالَ الأخُ الأوسطُ : لقد قَرَّرنا حِرمانَ المساكينِ من الصدقةِ . . كانت هذه جَريمتَنا الأُولى ، ولكنها نَبعتْ من جريمةٍ ثانيةٍ أَشد . . لقد كُنا نَعتقدُ أن العطاءَ من المالِ يُنقصُ المالَ . . لقد كُنَّا بُخلاءَ . . وآكتشفنا أن البُخلَ هو الذي يُضيِّعُ المالَ لا الصدقةَ . .

قالَ الأخوانِ الأكبرُ والأصغرُ : لقد ظَلمنا أَنفُسَنا بالبُخلِ . . وظَلمنا المَساكينَ بالحِرمانِ . .

قــال الأخُ الأوسطُ : وبسببِ هــذا الظُّلمِ حَرَمنا الله تعالَى من كلِّ شيءٍ .

قالَ الأخُ الأكبرُ : ما هو الحلُّ الآن ؟

قــالَ الأخُ الأوسطُ : التَّوبــةُ . . هي الحلُّ الآن . .

تساءَلَ الأخُ الأصغرُ : كيف ؟

قــال الأخُ الأوسطُ : نَرجِعُ إلى الله بالاعتذارِ . . والنَّـدمِ . . نَستغفِرُه من ذَنبِ الاعتقـادِ بـأن العَـطاءَ من المـالِ يُنقِصُ الـمــالَ . . ونتـوبُ إليــه من خَطيئتِنا وبُخلِنا . .

سأَل الأخُ الأكبرُ : هـل تظنُّ أن الله يَقبلُ تَوبتَنا ؟

قــالَ الأخُ الأوسطُ : إن الله تعـالَى وعدَ بِقبولِ التوبةِ إذا كانت صادقةً . .

قالَ الأخُ الأصغرُ : إن جَريمتَنا أكبرُ من أَن يَغفِرَها الله لنا .

قال الأخُ الأوسطُ : هذا ذنبٌ جديدٌ تَرتكِبهُ . . أن تعتقـدَ أن جَريمَتـكَ أكبرُ من عفوِ الله أو غُفرانِـه . . إن رحمةَ الله وَسعتْ كلَّ شيءٍ . .

وآستمرَّ حوارُ الإخوةِ حتى عَرفوا أن مـا وقـعَ لهم كــان جُـزءاً من عــذابِ الدُّنيا ، وأدركوا أن عذابَ الآخـرةِ أكبرُ وأشــدُّ ، ومن ثم فقـد تَـابـوا إلى الله وآستغفَروه وسبَّحوهُ . .



وتــابَ الله عليهم فعادتْ جَنَّتُهم إلى الحياةِ وعادتْ ثِمارُها تَزدهِرُ . .

وكــان يومُ حصـادِ المَحصولِ عيـداً لكُلِّ الفُقراءِ والمساكينِ في المنطقـةِ ، فقـد كان أَصحـابُ الجنـةِ يُكـرِمـونَهم ويُعـطونَهم نصفَ محصـولِ الجنـةِ ، وكــان الله يبـاركُ لهم فيمــا آتــاهُم ويَزيدُهم من فضلِه .

بسم الله الرحمن الرحيم

إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة إذ أقسموا ليصرمنها مصبحين
ولا يستثنون فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون
فأصبحت كالصريم فتنادوا مصبحين أن
اغدوا على حرثكم إن كنتم صارمين فانطلقوا وهم
يتخافتون أن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين وغدوا
على حرد قادرين فلما رأوها قالوا إنا لضالون بل
نحن محرومون قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبحون
قالوا سبحان ربنا إنا كنا ظالمين فأقبل بعضهم على
بعض يتلاومون قالوا يا ويلنا إنا كنا طاغين عسى ربنا
أن يبدلنا خيرا منها إنا إلى ربنا راغبون

صدق الله العظيم